الواقع الافتراضي وتعليمية اللغة العربية

أحلام مامي و الضاوية لسود

"أطلبوا العلم ولو في الحياة الثانية"
محمد بشير عبد العظيم

مقدمة:

يتسم العصر الذي نعيش فيه بتحولات عديدة وتغيرات علمية مست جميع المجالات ،ومن أهم هذه التغيرات التي ميّزت عصرنا الجديد الثورة الرقمية والتكنولوجية التي كان لها اثر كبير على المجال التعليمي وما يتبعه.

فظهر الواقع الافتراضي الذي يعادل الواقع الفعلي، لكن بطريقة تكنولوجية تعتمد على الكمبيوتر ولوازمه ، مما أدى إلى ظهور مصطلحات جديدة تتناسب مع هذا العالم الجديد، مشكلة بذلك منطومة تكنولوجية ساهمت بشكل أفضل في تعليمية اللغة العربية ومنه نتساءل:

ما هو الواقع الافتراضي؟ ما هي المصطلحات الجديدة التي جاءت بها هذه الثورة؟كيف ساهم هذا الواقع الرقمي في تعليمية اللغة العربية وتداولها؟ هل قدم لها ايجابيات ساعدت على تطورها أم كان بوتقة للحد من تقدمها وفاعليتها؟

١-الواقع الافتراضي:

وصل التطوّر في ميدان الصناعة إلى الحد الذي جعلنا قادرين على صنع عالم موازٍ لعالمنا هذا ،مطلقين عليه تسمية"العالم الافتراضي". وقد بدأت هذه الفكرة لمّا أدرك الإنسان أنّ عالمه الحقيقي يحتاج عالما آخر يلجأ إليه ويستمد منه ما يحتاجه من معارف، فهو انطلاقة نحو عالم آخر صنعته ثورة معلوماتية، أطلقت العنان للفكر الإنساني كي يفكر بطريقة جديدة، ولقد اشتهر هذا العالم في بدايته كبرنامج للألعاب، ولكن الباحثين رأوا أنه إذا كان في استطاعة أيّ مِنا دخول حرب افتراضية باستخدام هذه الألعاب فيقوم بالقتال ويستخدم فنون الحرب مع احتمال أن يفوز أو يهزم، و كأنّه في معركة حقيقة«فما المانع أن يستخدم التقنية نفسها بعقد اجتماع افتراضي بين مجموعة من الناس»(١).

فيتكوّن من خلال هذه الواقع سبيلا لارتياد مجالات متعددة يستغلها الكائن البشري سواء في الميدان الطبّي و ذلك عن طريق إنشاء المصحة الافتراضية أو في الميدان التعليمي وذلك بإنشاء فصل تعليم افتراضي، كل هذا يعني إنشاء واقع جديد يمكّننا من خلاله اقتناء جميع ما نرغب فيه ونستطيع تحقيقه في عالم الواقع الفعلي، وانطلاقا من هذه الفكرة أصبح الواقع الافتراضي عبارة عن حياة قائمة بذاتها في شتى المجالات الحياتية.

ولقد تم إعطاؤه مجموعة من التعريفات أهمها تعريف الناقد " سعيد يقطين" إذ يقول الواقع الافتراضي أو ما يطلق عليه تسمية " البديل الوهمي" واقع لا يختلف كثيرا عن الواقع الفعلي الذي نعيش فيه، فهو تجسيد له وصورة عنه ،واقع متنوع فيه مواقع و فضاءات تقدّم خدمات لفائدة الإنسان، واقع إنساني فهو ملتقى للترابط والتواصل وتكمن خطورة هذا العالم في اتساعه، فهو التمثيل شبه الواقعي للأشياء والأجسام والأشخاص وبيئات تواجدها مضافا إليها فكرة التفاعلية الدائمة.٢

فهو يعد نمطا جديدا من أنماط الكمبيوتر ،وكلمة افتراضي تشير إلى ما يوفره الكمبيوتر من نسخ متطابقة أو مماثلة للأشياء المادية الحقيقية، ويطلق عليه العالم الافتراضي أو المصطنع أو البيئة الافتراضية ،محاكيا بيئات حقيقية أو تخيلية.

وعرفه أحمد الحصري بأنه «احد المستحدثات التكنولوجية التي يتم فيها استخدام الكمبيوتر بالإضافة إلى بعض الأجهزة والبرامج كمنظومة متكاملة في إنشاء بيئة تخيلية ثلاثية الأبعاد تمكن الفرد من المعايشة والتفاعل والتعامل

معها من خلال حواسه وبعض الأدوات الأخرى بحيث يشعر هذا الفرد كما انه يتعايش ويتفاعل مع الواقع الحقيقي بكل أبعاده وتختلف درجة الواقعية والاستغراق والتفاعل والمعايشة التي يتيحها الواقع الافتراضي للفرد باختلاف نمط الواقع الافتراضي ذاته»(٣)

وعليه فهو يوضح الطرق التي تساعد على إبراز المعلومات والأفكار الحديثة وبروزها .

٢-أهم مصطلحات الواقع الافتراضي:

يشمل هذا الواقع مجموعة من المصطلحات المواكبة للثورة الرقمية والتي تخدم العالم التكنولوجي الجديد وتفرض نوعا من التغيير يجب على الإنسان أو المتعلم مواكبته ومن بين هذه المصطلحات نجد:الإنسان الافتراضي، فما المقصود بهذا المصطلح ؟ وما هي الصفات التي تميزه؟

-الإنسان الافتراضي:

برنامج الكتروني يقوم فيه الإنسان بكل ما يرغب فيه من(أكل، شرب، لعب...) بطريقة رقمية، ويعيش في بيئة افتراضية، هائلة الضخامة، تجمع العالم ككل في قرية صغيرة لا وجود لها على أرض الواقع، وهذا ما يجعل الإنسان غير قادر للذهاب فهو موجود فيها بمجرد اتصاله بعالم المعلومات٤.

ومن أهم الصفات التي يتميز بها هذا الإنسان، المرونة في التفكير وتعدد المواقع المعرفية التي تنوع مصادر معرفته.

- حبه للاستطلاع ،الذي يجعله يشعر وكأنه في ثورة كبرى تحمل تغييرات دائمة (الثورة الرقمية).
- الإنسان الافتراضي يحمل روحا علمية، فهو يعتمد على الانترنيت في كل معارفه ،ضف إلى ذلك الموسوعية التي يتميز بها وبالتالي تنعدم جميع الحواجز في البحث عن المعرفة٥.

-التعليم الافتراضي:

بعد أن تعودنا على التعليم الالكتروني الذي سيطر على الساحات التعليمية ،يظهر مفهوما آخر أكثر عمقا وشمولية وفاعلية منه

نوع جديد من التعليم ويسمى بالتعليم الافتراضي ،الذي يعتمد على استخدام الوسائط الالكترونية في الاتصال واستقبال المعلومات، واكتساب المهارات،والجدير بالذكر أن هذا النوع من التعليم لا يستلزم وجود مؤسسات ومباني وصفوف مدرسية، بل يرتبط بالشبكة المعلوماتية التي تعد وسيط تفاعلي للتعليم الافتراضي ونجاحه مقترن بفاعليتها ٦،فهو شامل للتعليم الالكتروني والتقليدي إذ يمكّن الطالب من الحضور بانتظام وتقديم واجباته وأبحاثه المطلوبة وفق نظام الكتروني، هذا النظام يستوجب الابتعاد عن كل ما هو تقليدي مما أدى إلى ظهور المعلم الافتراضي.

-المعلّم الافتراضي:

يمكن القول أنه المعلم الذي يتفاعل مع المتعلّم الكترونيا، متوليا أعباء الإشراف التعليمي، بهدف حسن سير التعلّم، وغالبا ما يرتبط عمله بوقت محدّد ،مستندا إلى مجموعة من المقررات التعليمية. والتربوية كما هو الحال في المؤسسات التربوية التعليمية الرسمية٧.

-الفضاء الشبكي:

نشأ هذا الفضاء من خلال تقنيات الواقع الافتراضي عن طريق مؤثرات بصرية وصوتية ،ويطلق عليه اسم الفضاء السيبراني أو الفضاء الشبكي كما سماه الناقد سعيد يقطين ويعرف بأنه" فضاء التواصل الذي يتحقق بين الحواسيب من خلال شبكة الانترنيت،وهو يختلف عن باقي الوسائط الموظفة للتواصل بين الناس٨ .

وتعد شبكة الانترنيت من أهم مكوناته الأساسية التي تساهم هذه الأخيرة في ظهور النص الشبكي الذي يعد من المفاهيم التي اقترحها الباحث (ابسن ارسيث) الذي يقصد به " النص المتاهة" وهو من النصوص الصعبة على القارئ إذ يتطلب الفهم الوافي للنصوص الشبكية بغية الوصول إلى تحديدها ورصد مفاهيمها والتفاعل معها. ٩

فيصبح المفهوم الشبكي للنص يهتم بالنظام الآلي له، وهذا يكون بما يبذله القارئ من جهد حتى يتمكن من فك شفراته والتفاعل معها.

ولا يكمن أن يتم التعليم الافتراضي إلا بوجود الشبكة العنكبوتية وهذا عن طريق الوسائط الالكترونية التي تمنح المتعلم فرصة التواصل مع المعلّم الافتراضي بشكل يسير دون عناء أو جهد وما يتوافق مع المقررات التعليمية والمناهج التعليمية التي يقر بها التعليم الافتراضي لذا يكمن القول أنّ أول لازمة لا غنى عنها في هذا النوع من التعليم هي الشبكة العنكبوتية ومعرفة استخدامها في هذا الميدان.

وغيرها من المصطلحات الجديدة التي لاقت رواجا كبيرا في هذا الواقع ك:المدرسة الافتراضية ،الفضول الافتراضية ،السيبرانية...

٣-التفاعلية ضرورة في التعليم الافتراضي عبر الوسائط الالكترونية :

لقد تطورت نظرية التلقي عند (آيزر وياوس) وأصبحت أكثر النظريات نجاعة على الساحة النقدية المعاصرة، حيث أفرزت مقولات ذات حركية ومن بين هذه الآليات التي أفرزتها هذه النظرية نجد" التفاعلية" بالمعنى التكنولوجي والالكتروني، والذي يشترط فيه تواجد المتلقي (القارئ والمستهلك) ، ويتم التفاعل بين المتعلم والمعلّم الافتراضي وفقا للوسائط الالكترونية التي تعتبر الوسيلة الوحيدة لهذا النوع من التعلم الصادرة عن الشبكة المعلوماتية، فكلمة الوسائط الالكترونية هي ترجمة لمصطلح "الميلتيميديا" أي الوسائط المتعددة وتستعمل هذه في المجال السمعي البصري والمعلوماتية وهذا لإمكانية استخدام الأصوات والصور والأنغام الموسيقية في الوقت نفسه، تتكون هذه الوسائط المتعددة من مجموع آليات تتمثل إجمالا في:

- النص(الموضوع): هو محور الوسيط الالكتروني ومنه تحدد عملية التعليم افتراضيا.
- الصورة المتحركة: آلية مساعدة لفهم المتعلّم وتعني مجموعة الصور المتسلسلة وتعرض بطريقة سريعة.
- الصوت: لا يمكن إنكار تأثر الصوت في نفس المتعلم، فهو عامل مساعد في فهم التعليمية الافتراضية.
- الفيديو:هو عبارة عن مجموعة الصور المتحركة تزامنيا مع الأصوات. (١٠)

فتقوم هذه الفكرة (الواقع الافتراضي) على مسألة بسيطة وهي دع الناس يتصورون أنهم في مكان ما ،لا يوجدون فيه فعلا، بل دعهم يعتقدون أنهم يفعلون أشياء وهم لا يفعلونها في الواقع .وهناك سبل كثيرة لإجراء مثل ذلك الخداع .إلا أن الشيء الوحيد الثابت هو انه لابد للتجربة من أن تحاكي الواقع مكتملا" وانطلاقا من هذه الفكرة ظهرت الحياة الافتراضية التي حلت محل الحياة المادية، وخاصة في مجال التعليم ،إذ تختلف المدرسة في عصر الثورة الرقمية كمبنى عن المدرسة التقليدية التي نعرفها،لا تلجأ إلى الفراغ المادي ،بالإضافة إلى الفصول الافتراضية التي تتسم بخاصية التخاطب المباشر بالصوت أو الصورة عن طريق الكاميرا الرقمية التي تنقل التفاعل عبر الانترنيت، التخاطب الكتابي السبورة الالكترونية ، إرسال الملفات وتبادلها مباشرة بين المدرس وطلبته.. وغيرها. (١١)

والسمة الأساسية التي تربط بين هذه العناصر هي التفاعلية، بحيث تعطي إمكانية التفاعل بينها وبين مستخدميها، فيمكننا التفاعل مع أشكال عديدة من الوسائط في حياتنا اليومية. وخاصة الجانب التعليمي إذ تتيح لنا وسائط الملتيميديا تلقي المعارف بكل يسر وسهولة.

٤-الواقع الافتراضي وتعليمية اللغة العربية :

لقد سارع الجميع نحو تبني الثورة الرقمية التي تغلغلت في الأوساط العربية شاملة بذلك كل المجالات ،مخترقة الحياة الخاصة والعامة للأفراد ،فأصبحت هذه التقنية ضرورية ، إذ ساهمت بخلق تفاعل كبير بين الأفراد والنهوض بحملة التطور التي مست العالم بأكمله.

مس هذا التغيير اللغة العربية التي دخلت إلى الواقع الافتراضي من خلال الجهود المبذولة من قبل الأفراد والمؤسسات المتخصصة في هذا المجال، فنلاحظ ترقية اللغة من خلال رقمنة بعض الكتب والذخائر التي تسهل على الباحثين سرعة إيجادها والحصول عليها وتوفير الجهد والمال واستثمار الزمن ،لتصبح بذلك الرقمنة أمرا ضروريا، بالإضافة إلى سهولة تداول المعلومات والحصول عليها مما يخدم التنمية في ظل المجتمع الراهن.

وللشبكة العنكبوتية أثر بالغ في التعليم المستمر للغة العربية والإقبال عليها،وتيسير طرائق تعليمها ،فكان استثمارها الطريقة الأنسب في تقديمها إلى العالم ،والاجتهاد في عرض ذلك بوسائل شتى.ضف إلى ذلك العمل على تعظيم المحتوى الرقمي العربي الموجه لغير الناطقين بالعربية.

- صناعة معاجم متنوعة تلاءم الناطقين بغيرها تعينهم على نماء الثروة اللغوية .ومحرك البحث العربي الفعال والقواميس الالكترونية النشطة، ومكانز اللغة وخزانات المعرفة الرقمية العربية.
- تجاوز طريق التلقين والحفظ في التعليم إذ أصبح البحث عن المعلومة بطريقة تقنية هامة جدا تتشكل ضمن المعلم والمدرسة الافتراضية . (١٢)

فهذه قطرة من بحر تمس اللغة العربية لأن عالمنا العربي مازال بعيدا كل

البعد عن هذا التطور.بل في الحقيقة إن سلبيات هذا العالم الافتراضي أكثر من إيجابياته، فالاستخدام المتواصل لهذه التقنيات شكل لغة صناعية للحاسب الآلي يمكن من خلالها التمثيل المعرفي للمعلومات المكتوبة بلغة الإنسان وبالتالي ترسيخ لغة تواصل عالمية ،مما يفرض على الفرد تعلم أكثر من لغة وهو في بيته ويضع له معظم المواقع التعليمية بلغة مخالفة للغته الأم مما يجعله متحمسا لاكتشافها ومعرفة عالم الآخر.

هذا العالم عزز اللغة الانجليزية على حساب اللغة العربية مما أدى إلى خلط بين المفاهيم وظهور لغة جديدة يستعملها جيل اليوم ، ضعف اللسان العربي وخصوصا في المراحل المدرسية والجامعية خاصة إذ أصبحت المزاوجة بين اللغات من عناصر التقدم والتطور.

وهذا الطرح يؤكد أننا مستهلكون للعلم لا منتجون،إذ أن آليات التطور تلد في تربة غير تربتنا وأثناء دخولها إلى تربتنا فإنها لا تقف مع المقومات الأساسية والمبادئ الهامة التي نقدسها.

وفي الأخير يجب أن نواكب المعاصرة بطريقة حضارية تضمن البقاء والتطور للغتنا ومنافسة اللغات التي تثبت وجودها يوما بعد يوم على الساحة العالمية وكما قال أبو حيان التوحيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة عن اللغة العربية: «قد سمعنا لغات كثيرة –وان لم نستوعبها –من جميع الأمم فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوغ العربية،أعني الفرج التي في كلماتها والفضاء الذي بين حروفها ،والمسافة التي بين مخارجها، والمعادلة التي نذوقها في أمثلتها،والمساواة التي لا تجحد في أبنيتها » (١٣).

الهوامش:

١- مطاع بركات،الواقع الافتراضي فرصه ومخاطره وتطوره" دراسة نظرية" مجلة جامعة دمشق، سوريا،المجلد٢٢،ع٢،٢٠٠٦.

٢- عمر زرفاوي ، الأدب التفاعلي واتجاهات ما بعد البنيوية،مجلة ثقافات، ع١٨٥، كلية الآداب ،جامعة البحرين،٢٠٠١، ص:١٨٦.

٣-أحمد الحصري، منظومة تكنولوجيا التعليم في المدارس "الواقع والمأمول" ،المؤتمر العلمي السنوي للجمعية المصرية لتكنولوجيا،دار الوفاء،المنصوره-مصر،٢٠٠٠،

٤- سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، المركز الثقافي العربي،المغرب،ط١، ٢٠٠٨، ص٧٠.

٥- فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي،المركز الثقافي العربي،المغرب،٢٠٠٦،ص ،ص،١٢٥،١٢٤.

٦- عبد اللطيف بن حسين فرج، طرق التدريس في القرن الواحد والعشرين،دار المسيرة للنشر والتوزيع،عمان،ط١، ٢٠٠٥،ص٢٠،

٧- المرجع نفسه، ص٢٠.

٨- أحمد فضل شبلول، أدباء الأنترنيت أدباء المستقبل، دار الوفاء،الإسكندرية،مصر،ط٢، ص ص،٢٣،٢٢.

٩- إبراهيم صالح الهدهد ،الفجوة الرقمية وتعليم اللغة العربية"الواقع والمأمول"،٢١يناير٢٠١٣.

١٠- سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي،ص٢٦٧.

١١-عبد الحكيم الشيراوي،الواقع الافتراضي والتعليم.

١٢-المحيسيني إبراهيم ،المدرسة الالكترونية ومدرسة المستقبل،دراسة في المفاهيم والنماذج" ورقة عمل مقدمة لندوة مدرسة المستقبل،جامعة الملك سعود ،١٧،١٦-٨-١٤٢٣.

١٣-أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة،تق: إبراهيم الكيلاني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دمشق-سوريا،١٩٨٧،ص:١٢١.